فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*. السنة الرابعة، العدد الأول (المتوالي ٧)
خريف و شتاء ١٣٩٩ش/ ١٤٤٢ق. من صفحة ٥٩ الى ٧٠

Biannual Scientific Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.
Vol. 4, No. 1, (Issue 7) Autumn & Winter 2020-2021; pp. 59-70

مقالة پژوهشی **Original Research**

التغيّرات الدلاليّة للفظ الإسلام ومشتقاته في نهج البلاغة مقارنة بالشعر الجاهليّ والقرآن

ليلى أصل ركن‌آبادي*

تأريخ الاستلام: ١٤٤١/٠٩/٠٤ **تأريخ القبول: ١٤٤٢/٠٧/٢٢**

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بيام نور، طهران، إيران

Original Research

Significant Changes in the word of "Islam" and its Derivatives in the Approach of Rhetoric Comparable to Ignorant Poetry and the Quran

Leili Asle Roknabadi*

Received: 2020/04/28 **Accepted: 2021/03/06**

Assistant Professor the Department of Arabic Language and Literature, Payame Noor Tehran University, Iran

10.30473/ANB.2021.52811.1202

الملخص

يعدّ لفظ الاسلام ومشتقاته من أهم المفردات التي وردت في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ونهج البلاغة، حيث تناول كل من المصادر الثلاثة اللفظَ ومشتقاته بمعان قد تشترك استعمالها في المصادر الثلاثة وقد تختلف. فحاولت الباحثة خلال السطور التي بين أيديكم أن تسلط الضوء على جذر "سلم" ومختلف مشتقّاته عبر المنهج الوصفي التحليليّ وأن توضّح دلالة الكلمة ومشتقاتها في المصادر الثلاثة المذكورة مسجّلة ما طرأ عليها من تغيّر دلاليّ. تفيد نتائج الدراسة أنّ جذر سلم في العصر الجاهلي كان له دلالة مادّيّة، بينما اتّصفت هذه الدلالة في القرآن الكريم ونهج البلاغة – فضلا عن الدلالة المادية بدلالات دينية سلّطت الباحثة عليها الضوء خلال المقالة، منها كلمة الإسلام بمعنى ذلك الدين الجامع الذي أتي به الأنبياء كلهم منذ خلق آدم إلى دين الخاتم محمد المصطفى، ثم بمعنى التسليم المطلق لأمر الله تبارك وتعالي، ذلك التسليم الذي يسري في كافة الكائنات الحيّة وغير الحيّة، فهي لاتخطو عمّا خطّط لها الله تبارك وتعالى منذ أن خلقها وهي لاتتعدّى ما عيّنت لها قيد أنملة وغير ذلك من المعاني الأخرى التي بيّنتها الباحثة قدر استطاعتها.

الكلمات الدليلية: نهج البلاغة، الشعر الجاهليّ، القرآن الكريم، الإمام علي (ع)، التغيّر الدلاليّ.

Abstract

The word Islam and its derivatives are among the most important words mentioned in pre-Islamic poetry, in The Noble Qur'an, and in the Nahj-ul-Balagha, where each of the three sources dealt with the word and its derivatives, as its use may be shared in the three sources and may differ. The researcher tried during the lines that are in your hands to put the light on the root of "Salam (Peace)" and its various derivatives through a descriptive analytical method and to clarify the significance of the word and its derivatives in the three mentioned sources, to record its semantic changes. The results of the study indicate that the root of "Salam (Peace)" in the pre-Islamic era had a material connotation, while this indication in the Holy Qur'an and the Nahj-ul-Balagha - as well as the physical connotation - were characterized by religious connotations highlighted by the researcher during the article, including the word Islam in the sense of that inclusive religion that all the prophets brought from the creation of Adam to the religion of Khatam-an-Nabiyyin ,the Prophet Muhammad Mustafa, then in the sense of absolute submission to take command from God Almighty, that submission which applies to all living and non-living beings while it does not go beyond what God Almighty has planned since the creation of the beings, and does not exceed what has assigned to that beings and the other meanings that the researcher showed as much as she could.

Keywords: Nahj al-Balagha, Pre-Islamic Poetry, The Noble Qur'an, Imam Ali (peace be upon him), Semantic Change.

*** Email:** rokn56@yahoo.com

المقدمة

تعد اللغة ظاهرة شبه حية، تنمو وتتغير بتغيّر الحياة والزمان والمكان، حيث كلما ازداد الزمان والمكان والمجتمع والناس تغيُّراً كلَّما ازداد اللغة تطورا ومواكبة لهذا التغيّر. وهذا من الأمور الطبيعيّة في اللغة، لأنّ اللغة إن لم تتطور تصبح ميتة يأكل عليها الدهر ويشرب. إلّا أن سرعة التطوّر ونتائجه تختلف من وقت لوقت ومن زمان لزمان. كلنا نعلم أن هناك بونا شاسعا بين حياة الأمم القديمة مع حياتنا الراهنة. فأين بيوتهم وملابسهم وطريقة حياتهم من بيوتنا وملابسنا وطريقة حياتنا؟ اللغة كذلك كمظهر من مظاهر الحياة البشري يطرأ عليها التغير لئلّا يصيبها الفناء والموت، قد ظهر هذا التغيّر الدلالي في لغة الشعر الجاهلي إذا قيست بلغة القرآن الكريم ولغة نهج البلاغة، حيث تحوّل اللغة العربيّة في المصدرين الأخيرين تحولاً كبيرا، فتلبّست بجديد وعكست فيها تقلّبات الظروف والأزمان، وتحوّلت دلالتها أو بعض منها إلى غير ما كانت عليها في العصر الجاهليّ. تحاول الباحثة خلال الدراسة التالية باذلة أقصى مجهودها أن تجيب على هذا التساؤل بأنه كيف تبلورت دلالة جذر "سلم" ومشتقاته في الشعر الجاهليّ والقرآن الكريم ونهج البلاغة؟ ثم لو سلمنا بحدوث تغيّر دلاليّ – وهو أمر طبيعي في جذر سلم في نهج البلاغة مقارنة بالشعر الجاهلي والقرآن الكريم، كيف ظهر هذا التغيّر الدلاليّ؟

بعد أن اتخذت الباحثة المنهج الوصفي – التحليليّ دليلا لها خلال الدراسة، قامت بادئ ذي بدء أن تكشف دلالة الكلمة ومشتقاتها في الشعر الجاهلي متصفحة مختلف دواوين ذلك العصر مثل ديوان امرؤ القيس، زهير بن أبي سلمى، شروح المعلقات السبع مثل شرح الزوزني، كتاب مفضل الضبي وغيرها من أهم الكتب التي تحمل بين طياتها الشعر الجاهلي، واستطاعت من إخراج دلالة الكلمة ومشتقاتها في ذلك الشعر ثم تناولت دلالة الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم ونهج البلاغة، مبيّنة مدى الخلاف الذي ظهر بين دلالة الكلمة في كلا العصرين.

خلفية البحث

صنف العديد من الكتب والمقالات في مجال الدلالة وعلم المعنى، غير أن بحثا مخصصا كان قد تناول دلالة الاسلام ومشتقاته في نهج البلاغة مقارنة بالشعر الجاهلي والقرآن الكريم، لم يكتب بعد، فكلنا أمل أن تكون هذه الدراسة متميّزة بهذا الصدد، لتفتح المجال لغيرها من الدراسات والبحوث في مجال التغيّرات الدلالية في نهج البلاغة. نتطرق في التالي إلى جملة من الكتب والمقالات التي صنفت بمجال علم الدلالة وخاصة نهج البلاغة:

"ألفاظ الفلك والهيئة في نهج البلاغة" رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير لإيمان سامي محمد الشويكي في جامعة النجاح الوطنية، والدراسة كما هى معلومة تسلط الضوء على الألفاظ التي تتعلق بالفلك والهيئة دون غيرها، فلا تمتّ مباشرة إلى موضوع المقالة المدروسة بصلة قريبة. "الاغتراب عند الإمام علي من خلال نهج البلاغة" اطروحة للطالب محمد مشعله داخي في جامعة الحاج حضر بباتنة، والدراسة تطرّق إلى مفهوم الاغتراب والغربة عند الإمام (ع). "معناشناسي واژه حق در نهج البلاغه" مقالة لمنصورة تقربي وسكينة سادات موسوي نجاد في مجلة ميراث طه بعام ١٣٩٦. والمقالة تناولت كلمة الحق في نهج البلاغة وسلطت الضوء علي الكلمة وعلى مختلف معانيها عند الإمام على (ع)، ومن ثم لا ترتبط بالمقالة الحاليّة إلا في بعض من الأمور النظرية مثل المعنى. كتب مصطفى عبدالرزاق في مجلة الهلال مقالة تحت عنوان "الدين الاسلامى ووجهته (كلمة الاسلام أصلها ومعناها وتطوراتها)"، والمقالة رغم مكانتها العالية وقميتها الرفيعة لم تسلط الضوء على تطور كلمة الاسلام في القرآن والشعر الجاهليّ ونهج البلاغة، بل هى في أساسها حديث عن الإسلام ومعانيه عند العلماء والمفسرين. كتب أحمد عبد الحميد الشاعر مقالة تحت عنوان "كلمة الاسلام في القرآن الكريم" في مجلة منبر الاسلام، والمقالة وإن كانت مرتبطة بموضوعنا الراهن ولكنها لاتسلط الضوء على مفهوم الاسلام لا في نهج البلاغة ولا في الشعر الجاهلي، ثم إنّ المقالة لم تتناول مشتقات الكلمة في كثير من الأحيان.

ثم أخرج إلى النور السيد محسن نيك سخن قمي كتابا مسمي بـ : "معناشناسى تاريخى و توصيفى واژه اسلام در قرآن" قامت منشورات جامعة الإمام الصادق

بنشر الكتاب وتوزيعه، والكتاب في الحقيقة كان رسالة الطالب في مرحلة الماجستير بعام ١٣٨٩ الشمسي، في جامعة الإمام الصادق (ع) تحت إشراف جعفر نكو نام. والموضوع كما هو معلوم لايمت إلى كتاب نهج البلاغة الشريف، بل سلط الباحث على تطورات كلمة الاسلام في القرآن الكريم فحسب، دون أن يتطرق إلى الشعر الجاهلي ولا إلى القرآن الكريم بشكل من الأشكال وهذا هو وجه الخلاف بين المقالة الحالية والعمل المار الذكر. ثم كتب محمد جواد نجفي وجواد محمدي مقالة بعنوان "معناشناسى واژه «اسلام» در قرآن، با تاكيد بر بررسى رابطه آن با پلوراليزم دينى"والحق أن المقالة أقرب إلى الموضوعات الكلامية إلى الموضوع الدلالي والألسني، ناهيك عن عدم دراسة الكلمة ومشتقاتها لا في الشعر الجاهلي ولا في نهج البلاغة وهذا هو وجه الخلاف بين الدراسة الحالية والعمل المذكور.

لذلك، يبدو أن هذا المقال ليس مبتكرًا بشكل خاص وأن هذه الرساله (الدلالات التاريخية لكلمة الإسلام) قد تم في القرآن والشعر الجاهل من قبل. والحق أنّ الباحثين والدارسين في مختلف أرجاء العالم الإسلامي قلّما تناولوا تطوّر ألفاظ نهج البلاغة الدلاليّ، لعل ذلك يعود إلى معتقدهم أن نهج البلاغة والقرآن الكريم في تطوراتهما سيّان، والحق أنهما مختلفان في التطوّر، حيث تجد كثيرا من الألفاظ وردت في نهج البلاغة وتطورت دلاليّا وهي لم ترد في القرآن أو وردت فيه بدلالة أخرى. ومن ثم كلنا أمل أن يكون هذا البحث مقدمة ومدخلا لمزيد من الدراسات في كتاب نهج البلاغة وبيان استكشاف وجوه التطور الدلالي في هذا الكتاب قياسا بالعصر الجاهلي وحتي بالقرآن الكريم.

١. الدلالة:

رغم ما يدور حول الدلالة من خلاف مديد عن تعريفها ومدى حدودها، غير أننا وضعنا الخلاف جانبا واخترنا تعريفا بين مختلف تعاريف الدلالة، ذلك الذي اعتبرناه الأصح عندنا وهو: العلاقة القائمة بين الرمز (الكلمة أو الإسم) وبين المفهوم الذهني (المدلول) (انظر: مختار عمر، ١٩٩٨: ٥٥). وبتعبير آخر هو علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول الذهني (أولمان، د. تأ: ١٥٢).

ومن ثم لاترتبط الدلالة بما في أرض الواقع من مصاديق، فمثلا: كلمة الشجرة، هي في الأصل رمز أو كلمة أو اسم، فبمجرد أن نسمع هذه الكلمة يتكوّن في أذهاننا مفهومها وهو كون ذلك الشئ الذي يثمر وله فواكه في بعض الأحايين ويتمتّع بأوراق وغيرها من السمات. فهذا المفهوم الذهنيّ الذي يتبادر إلى أذهاننا هو الفكرة أو المدلول، أما الشجرة باعتبارها شيئاً في عالمنا الخارجي فليس له علاقة بعلم الدلالة، بل هو مصداق أو مشار إليه وهو من اختصاص علم السمانتيك أو علم الذرائعية.

علم الدلالة

علم الدلالة هو العلم الذي يدرس المعنى بشكل علمي (ينظر: صفوي، ١٣٩٢: ٢٧؛ مختار عمر، ١٩٩٨: ١١). قد ظهر مصطلح علم الدلالة في نهاية القرن التاسع عشر على يد الفرنسي ميشل بريل[1] ويعدّ كتابه المعنون بـ" السيمانتيك" الذي انتشر بعام: ١٨٧٩ أولُ دراسة خاصة بالمعنى بالشكل العلميّ. عنى الباحث فيه بدلالة الألفاظ في اللّغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهنديّة ـ الأروبيّة، مثل: اليونانيّة واللاتينيّة والسانسكريتّة واعتبر بحثه وقتذاك ثورة في دراسة علم اللّغة وأول دراسة حديثة لتطوّر معاني الكلمات (السعران، د. تأ: ٢٣٧).

علم الدلالة يضع النور على جملة من الدلالات، كالدلالة الصرفية والدلالة النحوية والدلالة المعجمية وغيرها، كما يسلّط الضوء على جملة من الوحدات التي تحتمل دلالة، مثل الأصوات ثم المورفيمات، ثم الكلمات أو الألفاظ ثم التعابير ثم الجمل. اختصت دراسة الباحثة خلال هذه الدراسة التي بين أيديكم على كلمة الاسلام ومشتقاتها ثم ما طرأ عليها من تغير دلاليّ. سنتاول في التالي مفهوم التغير الدلاليّ ثم نتاول صلب المقالة.

التغير الدلالي

يُعدُّ التغير الدلالي أحد جوانب التطوّر اللغوي وميدانه الكلماتُ ومعانيها. تم تعريف المعنى (الدلالة) بأنّه

1 .Michel Breal

"علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول" (أولمان، د. تأ: ١٥٢). يقع التغيّر الدلالي في اللّغة إذا وُجِد أيُّ تغيير في هذه العلاقة، فالتغيّر الدلاليّ يحدث إذا حدث تغييرٌ في علاقة اللفظ والمدلول. والملاحظ بهذا الصدد أنّ شأن اللّغة فيما يخصّ التطوّر سواء في دلالتها أم في غيرها من الأجزاء لايكون دائما بمعنى التقدُّم والإرتقاء ومن ثم فإنَّ البحث في أطوار اللّغة لايفيد الحكم دوما بالحسن على الطور المتأخّر في الزمن وبالقبح على المتقدّم، فإن البحث العلميّ يتجرَّد عن مثل هذا الحكم، وإنّما يدرس واقعا ويصوّر حقيقة محسوسة ويحاول تحليلها وتعليلها دون أن يحكم عليها بالصّحة والفساد (مبارك، د. تأ: ٣٤). التغير الذي نتحدث عنه خلال المقالة هو تغيّر في دلالة الكلمة دون لفظها، بحيث يُنفخ في تلك الألفاظ الحياة من جديد بإعطاء دلالات جديده لها، على غرار ما نلاحظ عن جمع غفير من الألفاظ القديمة التي ظهرت بدلالات جديدة، كألفاظ السيارة والزّكاة والصلاة وغيرها. ففي هذا الضرب من التطوّر الدلاليّ تندثر الدَّلالة القديمة وتحلُّ محلَّها دلالة جديدة نابعة عن حاجة المجتمع اللغويّ، أو تبقى الدلالة القديمة ولكن دلالة حديثة تظهر وتعيش إلى جانب الدلالة القديمة. نتناول في السطور التالية كلمة الإسلام ومشتقاتها في كل من العصر الجاهلي ثم في القرآن الكريم ثم في نهج البلاغة، مصورة صور التطور أو التغير الذي طرأت على الكلمة ومختلف اشتقاقاتها. ولكم التفصيل.

٢. لفظ الاسلام و مشتقاته في الشعر الجاهلي

وردت مشتقات مادة سلم كراراً في الشعر الجاهليّ، وهي تحمل معان مختلفة، منها كلمة السِّلَام بمعنى الصخرة الملساء الكبيرة كما في قول الشاعر المخضرم كَعب بن سَعْد الغَنَويّ:

تَقُولُ سُلَيْمَى وما لِجِسْمِكَ شَاحِبَاً
كأنَّكَ يَحْمِيْكَ الشَّرابَ طَبِيبُ
فقلتُ ولَمْ أعْيَ الجَوابَ ولَمَ أُلِحْ
وللدَّهرِ في صُمِّ السِّلَامِ نصيبُ

(ابن الشجري، د. تأ: ١٠٧)

يعني: تقول سليمى لماذا أصبح جسمك ضامرا متغيّر اللون؟ يبدو أنّ الطبيب منعك من الشرب والأكل، فقلت: ولم أع الجواب ولم أشفق من الإجابة، إنّ للدهر يداً حتى في الصخور الصلبة الشداد. ينكشف لنا أن الشاعر أراد بكلمة السلام تلك الصخور الكبيرة الملساء التي واحدتها سلمة، فالدهر يؤثر حتي على تلك الصخور، فناهيك عن الناس، فهم أضعف وأكثر عرضة للدمار والهلكة. وقد جاء كلمة "السليم" بمعنى المعافي من المرض من السلامة وبمعنى اللديغ تفاؤلا وأملا بسلامته ومعافاته، على نحو قول المرقش الأصغر في وصف ليلة طويلة بَتَّهَا بملء من الهموم والأحزان:

ولَيْلَةٍ بِتُّهَـــا مُسْهِرَةٍ
قد كَرَّرَتْهَا عَلَى عَيْنِي الهُمُومْ
لَمْ أغْمِضْ طُوْلَهَا حتَّى انْقَضَتْ
أكْلَؤُهَا بَعْدَ مَا نَامَ السَّلِيمْ (الضبي، د. تأ: ٢٤٩).

يقول الشاعر: ما أكثر الليالي التي بتها ولم أستطع فيها من النوم، ولكثرة همومي وأحزاني يخطر ببال أحدهم أنها تتكرر بفعل الهموم والأحزان! فلم أغمض عيوني على امتداد تلك الليالي وعلى طولها المضني، إلى أن انقضت الأنجم في السماء وطلعت الشمس، فاستطعت بعد ذلك أن أنام قليلا! فقد جرد الشاعر عن نفسه رجلا لديغا، أي: رجلا لدغته الحيات أو العقارب، غير أن الشاعر عبر عن هذا الرجل اللديغ بالسليم، تفاؤلا بسلامته ومعافاته وشفاءه مما هو عليه من هموم وأحزان، فحاله تشبه حال من لدغته الحيات والعقارب.

وقد وردت لفظتي "السِّلْم" و"تسلَّما" في شعر قيس بن زهير بمعنى الصلح والسلامة على الترتيب، فكأن الصلح يسلم الإنسان ويبعده عن الأذى والضرر والمصائب الماديّة والمعنويّة، كما في قول الشاعر:

فَيَا ابْنَيْ بَغِيْضٍ رَاجِعَا السِّلْمَ تَسَلَّمَا
وَلَا تُشْمِتَا الأعْدَاءَ يَفْتَرِقُ الشَّمْـلُ

(قيس بن زهير، ١٩٧٢: ٤٦).

مراد الشاعر من ابني بغيض هما عبس و ذبيان، وينصحهما بالكف عن الحرب ليسلما، والسلم في الشطر الأول يعني الصلح والهدنة، وتسلما في الشطر نفسه يعني تبعدا عن الأذى والضرر، وأن لا يلحق بكما شيء منهما. ومن المعنى نفسه قول الشاعر عامر المحاربيّ:

جَنَيْتُم عَلَيْنَا الحربَ ثم ضَجَعْتُم
إلَى السِّلْمِ لما أصْبَحَ الأمرُ مُبْهَمَا

(الضبي، د. تأ: ٣١٨).

ضجع إلى الأمر: مال إليه، السلم: بفتح العين وكسرها: الصلح، وهي مؤنثة. يقول الشاعر: جنيتم علينا الحرب ثم ملتم إلى الصلح والمهادنة عندما أصبح الأمر مبهما.

وجاءت كلمة "أسْلِم" في معلقة زهير بن أبي سلمى بمعنى السلامة والنجاة من البلايا والمصائب في البيت التالي:

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّار قُلْتُ لِرَبْعِهَا
أَلَا أَنْعِمْ صَبَاحَاً أَيُّهَا الرَّبْعُ واسْلَمِ

(الزوزني، د. تأ: ٧٥).

أنعم صباحا: أي: نَعِمْتِ صباحا، أي طاب عيشك في صباحك، من النعمة وهي طيب العيش. يقول زهير: وقفت بدار أم أوفى، فقلت لدارها داعياً لها: طاب عيشكِ في صباحكِ وسلمت. والشاهد على كلمة سلمت إذ هي جاءت بمعنى السلامة والمنجاة من البلاء والغارة ونحوهما. وكذلك من المعنى نفسه بيت آخر للشاعر نفسه والمعلقة نفسها:

وقد قلتُما: إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعَاً
بِمالٍ وَمَعْرُوفٍ مِن القَوْلِ نَسْلَمِ

(الزوزني، د. تأ: ٧٨).

يقول: إن أدركنا الصلح واسعا، أي إن اتفق لنا إتمام الصلح بين القبيلتين ببذل المال وإسداء معروف من الخير، سلمنا من تفاني العشائر والأنفس.

ويقول معاوية بن مالك الشاعر الجاهلي موظّفا مادة سلم بمعنى الاستسلام والخضوع أمام شيء وذلك في قوله في وصف سلمى ونظراتها الدقيقة التي تصيب القلب والعقل معاً:

فَتَصْطَادُ الرِّجالَ إذَا رَمَتْهُم
وَأصطادُ المخَبَّأةَ الكَعَابَا
فإنْ تَكُ لاتَصيدُ اليومَ شيئاً
وآبَ قَنِيصَهَا سَلَماً وخَابَا
فإنَّ لَهَا مَنازِلَ خَاوِيَاتٍ
عَلَى نَمْلَى وَقَفْتُ بِهَا الرِّكَابَا

(الضبي، د. تأ: ٣٥٧).

المخبأة: المحبوبة، الكعاب: التي قد نهد ثديها وكعب، قنيصها: قانصها وصائدها، سلما: السلم، بفتح اللام: الاستسلام، يوصف بالمصدر، يراد به المستسلِم المنقاد على المبالغة، نملى: ماء بقرب المدينة (المصدر نفسه). فالشاهد على سلما، إذ جاء بمعنى الاستسلام والتسليم، أي رجع صائدها صفر اليد مستسلما. ومن المعنى نفسه قول الاعشى في عدم احتماله بعد المحبوبة وما ينتابه من هموم وأحزان عند فراقها:

فَفَاضَت دُمُوعِي كَفَيْضِ الغَرُو
بِ إمَّا وَكِيْفَاً وإمَّا انْحِدَارَا
كَمَا أسْلَمَ السِّلْكُ مِن نَظْمِهِ
لَآلِئَ مُنْحَدِراتٍ صِغَارَا

(الأعشى، د. تأ: ٤٥).

الغَروب جمع غرب وهو الدلو العظيمة، والوكيف يعني المنهمر(المصدر نفسه). يقول الشاعر: فاضت دموع عيني، كفيض الدلاء تتوالى متتابعة، كأنها حبات عقد من دُرٍّ حَانَهُ السِّلكُ فَانْفَرط! الشاهد على "أسلم"، إذ جاءت الكلمة بمعنى الاستسلام وعبَّر الشاعر عن هذا المفهوم بشكل طريف، بأن الخيط لم يحتمل حبات السبحة بعدُ وكأنه استسلم أمامها، فانفرطت وخرجت عن الخيط منحدرة. فالشاعر عبر عن هذا بالإسلام كما لاحظنا.

اتّضح لنا أنّ مادة "سلم" في الشعر الجاهليّ جاءت بمعنى الصخرة الملساء والصلح والسلامة والأمن والاستسلام والخضوع أمام الآخر، وتلك الوجوه جميعها لو أمعنا النظر ترجع إلى أصلين. الأصل الأول هو البعد عن الضرر والسلامة والأمن، بدء بالسِّلام بمعنى الصخرة الملساء إذ هي سميت بذلك لأنها بريئة من العيب والضرر، ثم السِّلم بمعنى الصلح لأنه سبب السلامة ويحول دون نزف الدماء وهريقها، ثم السليم بمعنى الرجل اللذيغ، تفاؤلا بسلامته ومعافاته وبرءه من المرض، ثم السلام بمعنى التحية، كأن المسَلِّم بسلامه يقول أن المسَلَّمَ عَلَيه في منجاة من شره وهو في سلامة تامة من قِبَلِه! والأصل الثاني هو التسليم والانقياد.

٣. كلمه الإسلام و مشتقاتها في القرآن ونهج البلاغة:

يعدّ "الإسلام" من الكلمات المفصليّة في القرآن الكريم وفي نهج البلاغه أيضا، وهو في مجمله التسليم والخضوع أمام أمر الله جلّ جلاله فكراً ومنهجاً وسلوكاً، وهو في القاموس القرآني والنهج البلاغيّ على وجهين: وجه غير دينيّ صرف ووجه دينيّ إن صَحَّ التعبيران.

أما الوجه الأول وهو وجه غير ديني، فهو إسلامٌ تكوينيّ، بمعنى أنَّ جميع الكائنات والخلائق من النباتات والجمادات والبشر والجانّ، تسليم مطلق لأمر الله تعالى، كما قال عزَّ مِن قائل: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران/ ٨٣).

والإسلام ههنا هو الخضوع والتسليم أمام قدرة الله وسلطته التي تفوق كل شيء وتعلو قدرة كل قادر، فالإسلام بهذه الدلالة نابع عن ضعف المخلوق وخنوعه أمام الله، إذ ليس بيده شيء، بل كل شيء بيد الله وناصينا بيده جلّ شأنه وعظُم سلطانه، يسلّم لله مَن في السموات والأرض طوعاً وكرهاً. وهذا المعنى في الحقيقة يعود إلى معنى التسليم والخنوع والاستسلام الذي سبق أن بيناه في الشعر الجاهلي وأوردنا جملة من الشواهد الشعرية على ذلك، بيد أن الملاحظ بهذا الصدد أن هذا المعنى (التسليم والاستسلام) لم يرد في الشعر الجاهلي إلا في خطاب بشري، فالاستسلام والتسليم والخضوع والخنوع كلها كانت بالنسبة إلى الجنس البشري، ولكن هذا المفهوم في القرآن الكريم قرن بذات الله تبارك وتعالى وقدرته وجبروته في معظم الأحيان، فأصبحت تتوسع دائرته وتضمّ الجمادات والنباتات والجان والانس وكل من في الكون وما فيه! فلا يخرج شيء عن إرادته جل وعلا.

أما عن وجود هذا الضرب من الدلالة في كتاب نهج البلاغة فقد وظّفها الإمام في خطبه وأقواله قليلا، لم تحصل الباحثة إلا على شاهد واحد في كل كتاب نهج البلاغة على ذلك وهو قوله (ع):

تبارَكَ الله الذي يسجُدُ له مَن في السموات والأرض ويعفِّر لهُ خَدَّاً ووجها ويُلْقِي إليه بالطاعة سِلْمَا وضَعْفَاً (صالح، ١٤١٤: ٢٧٢).

الإمام (ع) مدّ التسليم والاستسلام أيضا في دائرة الكائنات، فكل ما في الكون والكائنات خاضع له ومستسلم له بالسلم، أي لا يستطيع أن يخالف ربه وخالقه ولا أن يكف عن طاعته، وهذه الدلالة للكلمة وإن كانت تعني التسليم والاستسلام أمام خالق السموات والارض ناجمة عن ضعف الكائنات أمام ربها كما بيّنا، لأنها ليست لها إرادة مستقلة تعصى عن أمر ربِّها، بل كلها مسيَّرةٌ لامحالة صوب ما خطَّطَه لهَا ربُّهَا! هذا بالنسبة إلى غير ذوات الأرواح مثل البشر والجان، حيث زوَّدَهم بإرادة تمكِّنُهم من طاعة الله ومن عصيانه معاذ الله، ورغم ذلك لم يتمكن هذين الكائنين (الجان والبشر) من أن تخرج عن التسليم أمام ربهما في ثلة من الأمور كخلقهم وإماتهم وإحيائهم و.... أشار الإمام (ع) إلى هذا الضعف المكنون في الكائنات وعدم استقلاليَةِ إرادتهم في أن تطيع الله جل جلاله عبر قوله (ع): سِلْمَاً وضَعْفَاً.

زد إلى جانب الدلالة المذكورة فقد وظف الإمام على (ع) جذر سلم ومشتقاته بمعنى مطلق السلامة والبرء من المرض والبلاء وما إلى ذلك، تلك الدلالة التي كانت سائدة في الوسط الجاهلي بكثرة وقليلة التوظيف في القرآن الكريم، فيتضح لنا إذن أن جذر سلم بالمعنى المذكور – السلامة . في نهج البلاغة أكثر توظيفا واستعمالا مقارنة بالقرآن الكريم. فانظروا مثلا إلى قوله (ع) في وصف المسلم الحقيقي:

المَغْبُوطُ مَن سَلِمَ له دينُه (صالح، ١٤١٤: ١١٧).

يعني الرجل المغبوط أو الذي أتى بربح كثير هو الذي استطاع أن يُبْعِد دينَه ومعتقده عن أي شائبة وظلم، فأصبح هذا الدين عنده خالِصَاً سالما بعيداً عن الضرر والأذى. هذا معنى تجده كثيرا في نهج البلاغة.

ومنها كذلك قوله (ع): المسلم من سَلِم المسلمونَ من لسَانِهِ ويَدِهِ إلا بالحق (صالح، ١٤١٤: ٢٤٢).

وقوله (ع):

إنه مَن رَأى عُدوانَاً يُعْمَلُ بِهِ ومُنْكَرَاً يُدْعَي إليه فأنْكَرَه بقَلبِهِ فقد سَلِمَ وبَرِئَ (صالح، ١٤١٤: ٥٤١).

إن المسلم في العبارة الأولى لا يُعرَف بصلاته ليلا

ونهارا، بل بأن يكون الناس وكل المواطنين في مأمن منه وأن لايلحق بهم أيُّ أذى منه لا من يده وعمله ولا من لسانه وقوله. وفي الثانية فسر الإمام (ع) كلمة "سلم" بإردافها كلمة "برئ" وهي المعافاة من المرض والبلاء ومن كل ضرب من الأمراض القلبية والمنكرات وما إلى ذلك، قصد الإمام ههنا أن يخالف المرء المنكرات ويقف في وجهها إمّا بيده وإمّا بلسانه وإمّا بقلبه، فقد أشار الإمام ههنا إلى الوجه الثالث، فإذا صنع المرء هكذا فقد سلم قلبُه من شائبة الظلم والإثم والسلامة ههنا كما هي معلومة، هي المعافاة.

وكذلك من توظيف الكلمة بالمعنى المذكور قوله (ع): أين الذين عمَّرُوا فنَعِمُوا وعُلِّمُوا فَفَهِمُوا وأُنْظِرُوا فَلَهَوْا وسُلِّمُوا فنَسَوْا (صالح، ١٤١٤: ١١٤).

يشير الإمام (ع) في المقطع المذكور إلى ما أعطاه الله تبارك وتعالى من الفرص والمهل لجنس البشر، لكي يستفيد منه خير استفادة، إلا أن الأماني تغره، فأعطاه عمرا طويلا واستمتع بالملذات والنعم كما أعطاه زمنا مديدا ليعيش وأعطاه السلامة الجسمية ولكنه أنساها جاهلا أو متجاهلا! الشاهد على كلمة سُلِّمُوا حيث جاءت بمعنى أنهم تمتعوا بالسلامة وصحة الجسم والبدن. وكذلك من الدلالة المذكورة قوله (ع) والصلاة في خطاب له إلى الصالحين من أصحابه واتباعه: أعِينُونِي بمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ من الغَشّ سَلِيمةٍ من الرَّيْبِ (صالح، ١٤١٤: ١٧٥).

وقوله (ع): فالله الله معشر العباد وأنتم سالمون فى الصحة قبل السقم (صالح، ١٤١٤: ٢٦٧).

ونقول أخيرا وليس آخرا إن دلالة سلم المتمثّلة في السلامة والمعافاة والبعد عن الضرر والبلاء والمرض وما إلى ذلك، كانت سائدة في الوسط الجاهلي ناهيك عن الاسلامي كما أوردنا شواهد من نهج البلاغة على ذلك، غير أن الدلالة المارّ الذكر لم ترد في القرآن الكريم إلا قليلا، من توظيفها قول الله تبارك وتعالى: يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُون. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (الشعراء/ ٨٨-٨٩).

أي بقلب خال من الشرك والشك، أما الذنوب والآثام فليس يسلم منها أحد على حد قول القرطبي في تفسيره (القرطبي، ١٩٦٤: ١٣/ ١١٤).

ثم إن التسليم قد تجده في القرآن الكريم قد خرج عن الدلالات المذكورة وأصبح ضربا من التحية فيما بين المسلمين وضربا من الدعاء في حق النبي عليه أفضل السلام والتحيات، فتحوّل إلى لونٍ من العبادة وهو في الأصل مأخوذ من معنى السلامة والمعافاة، ولهذا السبب أدرجناها ضمن هذا القسم، قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (الأحزاب/ ٥٦).

تكررت هذه الدلالة في كلمات الإمام (ع) عند التحية والصلاة إلى الرسول كثيرة لا نحتاج إلى عرضها لكثرتها، ثم استعمل الإمام (ع) التسليم بمعنى توجيه التحية إلى الطرف الآخر أياً كان، منه قوله: ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلِّمَ عليهم (صالح، ١٤١٤: ٣٨٠).

زد إلى هذا وذاك فقد وظف الامام على (ع) مادة سلم بمعنى غير ديني لاتجده في القرآن الكريم بتاتا، وهو معنى الترك، أسلمته يعني تركته وعلى حد تعبير ابن منظور في لسانه: يُقَالُ كُنْتُ راعِيَ إبل فأَسْلَمْتُ عَنْهَا أَي تَرَكْتُهَا. وَكُلُّ صَنِيعَةٍ أَو شَيْءٍ تَرَكْتَهُ وَقَدْ كُنْتَ فِيهِ فَقَدْ أَسْلَمْت عَنْهُ (ابن منظور، ١٤١٤: ١٢/ ٢٩١). يقول الإمام (ع) عن مصير الإنسان ومآله: وخرجت الروحُ من جسدِهِ فصار جِيْفَةً بين أهله، قد أوْحَشُوا من جانبه، وتَبَاعدوا من قربِهِ لا يُسْعِدُ باكيا ولا يُجِيْبُ داعياً، ثم حَمَلُوه إلى مَخَطٍ في الأرض فأسلَمُوه فيه إلى عَمَلِه (صالح، ١٤١٤: ١٦١).

والشاهد على أسلموه فيه إلى عمله، حيث وظف الإمام الكلمة بمعنى الترك، يعني تركوه مع ما صنعه بل حصده في دنياه من عمل حسن أو سيىء، فهو رهين عمله ويترك في القبر لكي يُجْزَى إن خيرا وإن شرا.

ومن المعنى نفسه قوله (ع): يا دنيا لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني... وملوك أسلمتهم إلى التلف (صالح، ١٤١٤: ٤١٩). يعني يا دنيا إنني لاأثني أمامك ولا تستيطع أن تكفني عن إقامة حدود الله

في عباده، بل سأقيم تلك الحدود ولا أبالي، سأقيمها في كل عباد الله رعيّة وملوكا، هؤلاء الملوك الذين تركتهم في قبورهم وحيدين. وكذلك من المعنى المذكور قوله (ع) والتحيات في وصف الظالمين الطغاة: وأسلمتم أمور الله فى أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات (صالح، ١٤١٤: ١٥٤).

يعني تركتم أمور الله تبارك وتعالى وشؤون دينكم ودنياكم في أيديهم، ليعملوا بالشبهات ويسلكوا مسالك الظلم والعداوة ويَلِجُوا في الشهوات.

ثم إن الامام جاء بكلمة التسليم وبابها (سلَّم – يُسلِّمُ) بمعنى أن تعطي للآخر ما عندك من أمانة، فالتسليم ههنا لايحمل معنى دينياً أبدا، بل معناه ماديٌّ تماما، مثل قوله (ع) في كتابه إلى أشعث بن قيس: وفي يديك مالٌ من مالِ اللهِ عزَّوجلَّ وأنت من خُزَّانِهِ حتى تُسَلِّمَهُ إلَيّ (صالح، ١٤١٤: ٣٦٦). يعني: إلى أن آخذه منك وتعطيني إياها لكي استعملها في شؤون بيت المال.

زد إلى ذلك أورد الإمام (ع) مشتقّات مادّة سلم في نهج البلاغة فضلا عن الدلالات المذكورة بمعنى التسليم والخضوع أمام البشر كثيرا وهذه دلالة كانت سائدة في الوسط الجاهلي خاصة، فمثلا يقول الامام (ع) عن سلالة بني أمية ومعاوية خاصة: وما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر (صالح، ١٤١٤: ٣٧٤).

يصفهم الإمام بأنهم – أي بني أمية ـ لم يسلموا، بل الحق أنهم استسلموا أمام قدرة الإسلام وخضعوا ولم يستيطعوا أن يشقوا عصا الطاعة وقتذاك، ولكنهم في الحقيقة لم يؤمنوا وكانوا يبطنون الكفر على ما جاء في نص العبارة. الشاهد على "استسلموا" حيث وظفها الامام تعبيرا عن خضوع هؤلاء أمام الإسلام عنوة واضطرارا. يندرج ضمن الدلالة المذكورة قوله (ع): من استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيها (صالح، ١٤١٤: ٤٧٤).

ثم إن الإمام (ع) استعمل السلم بمعنى الصلح كذلك، مثل قوله (ع): إلى جرير بن عبد الله، فأحمل معاوية على الفصل... ثم خيره بين حرب مجلية أو سلم مخزية، فإن اختار الحرب فانبذ إليه وإن اختار السلم فخذ بيعته (صالح، ١٤١٤: ٣٦٨).

وقوله: (الاسلام) فجعله أمنا لمن عقله وسلما لمن دخله (صالح، ١٤١٤: ١٥٣).

وهذا المعنى (الصلح والسلم) يستقى من البرء والبعد عن البلاء والمصيبة، وفي الحقيقة يعود إلى اصل السلامة والمعافاة، لإن الصلح ينجم عن السلامة ويحول دون اندلاع حروب فتالة تذهب ضحيتها الألوف من البشر ولهذا السبب بالذات دعا الاسلام كرارا إلى أن الصلح أفضل من الحرب. قال تعالى في سورة النساء: والصلح خير (النساء/ ١٢٨).

إلى هنا بينا دلالة كلمة السلم ومشتقاتها في القرآن الكريم ونهج البلاغة وبيّنا أنّ الدلالات المذكورة كلها عائدة في الحقيقة إلى معنى غير ديني. أمّا الوجه الثاني لكلمة الإسلام ومشتقاتها في القرآن الكريم ثم في نهج البلاغة فوجه ديني بحت، وهو على ضربين في كتاب الله جل جلاله وفي نهج البلاغة أيضا.

الضرب الأول هو الإسلام الذي يبلغ أعظم درجات الإيمان وهو مأتيٌّ من التسليم المطلق أمام الخالق. يتفاوت هذا الوجه عن الوجه الأول الذي كان يتمثل في مطلق الاستسلام أنّ الوجه الذي بيناه في الصفحات الماضية كان في كل الخلائق والكائنات نباتاً وجمادا وحيوانا وإنساً وجاناً وكان ينجم عن ضعف الخلائق والكائنات أمام خالقهم! لأنهم مهما كبروا وعظموا فهم صغراء مستسلمون أمام هذا الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، أما هذا الوجه من الإسلام الذي نتناوله في الفقرات التالية فهو خاص بالبشر والجان فحسب، ثم يُراد به تسليم متعمّد مقصود، تسليم يفضى بالمسلم إلى أنْ يعفّر جبهَتَه بالتراب أمام خالقه، كما قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة/ ١١٢).

وقال عز من قائل: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة/ ١٣٠.١٣١).

فالمسلم بالمعنى المذكور إذن هو الذي سلّم نفسه

طوعاً للإرادة الإلهيّة واضعاً ثقته في الله، إنّه باختصار نوعٌ من استسلام النفس غير المشروط وقبول مطلق لأمر الله ودستوره المنزل الذي تجسّد في شكل الدين، ولهذا السبب بيّن الله في محكم كتابه العزيز أنّ الإسلام وحده هو الدين المنشود عند الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ... ﴾ (آل عمران /١٩).

فالدين بهذا الإعتبار هو الإسلام الذي ارتضاه الله دين العباد منذ خلق آدم إلى بعثة الرسول الأعظم وإلى قيام الساعة ولهذا السبب سمّى الله دين كل الرسل والأنبياء إسلاماً، كما قال عزَّ من قائل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران /٨٥).

وبذلك سمى الله جل جلاله جميع الرسل والأنبياء مسلمين. ها هو خليل الله بعد أن رفع قواعد البيت يدعو الله أن يوفّيه مسلما: ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة /١٢٧.١٢٨).

يتضح من قبيل الآيات المذكورة أن المراد بقوله اجعلنا مسلمين أو أمة مسلمة ليس الاعتناق بالدين الاسلامي الذي نعهده اليوم، لأنه الآية وردت على لسان إبراهيم خليل الله بينما محمد المصطفى لم يكن مبعوثا ولا موجودا بعد، كيف يمكن أن يكون السابق مؤمنا بتاليه الذي لم يره بعد؟ على ما يلوح لنا حسب سياق الآية الشريفة أن مسلمين وأمة مسلمة هم هؤلاء الذين يخضعون أمام ربهم ويستسلمون لأوامره ونواهيه، ولا يتخطون عن حدود ما بينه لهم ربهم قيد أنملة.

ثم انظر كذلك إلى قول يوسف يدعو بأن يوفّيه الله مسلما ثم يلحقه بالصالحين: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (يوسف/ ١٠١).

إن الإسلام حسب الآيات المذكورة تسليم مطلق لأمر الله جلّ جلاله في الدنيا عن قصد وإرادة وهو أعظم درجات الإيمان بالقضاء والقدر اللذيْن اعتُبِرَا قسما من الإيمان. فالإسلام إذن هو التخلي عن الأنانيّة والذاتيّة القبيحة والإعتداد بالقوة الإنسانيّة، وأن يقف الإنسان متواضعاً ذليلاً كعبد أمام الله ربه وسيده! وهذه الخصيصة – الاستسلام المطلق أمام الله – كانت على العرب الجاهلي ثقيلة إلى أبعد الحدود، لأنه معتدٌّ بنفسه وبقوته الإنسانيّة، وبثقته التي تفوق الحدود الاعتياديّة، وبعزمه الذي يأمره بأن لايخنع أمام أيّة سلطة مهما كبرت وعظمت في عينه! وهذه عقليّة سائدة في الوسط الجاهليّ بوضوح، إلّا أنّ الإسلام ما كاد أن يظهر إلا قلّبت تلك الرؤية قلبا وطلب من المعتنق بهذا الدين الجديد أن يكون مستسلما أمام ربه وأن يكفّ عن أنانيّته وحرّيته التي لم تعرفا حداً ولا رادعا!

ومن هنا يتضح لنا دور الدين الجديد وثورته العظيمة فيما يخص كلّ المفاهيم المتعلقة بالتسليم والخضوع والتواضع، حيث أصبح التسليم أمام أمر الله ميزة ليست بعدها ميزة، بينما كان الاستسلام لكل قدرة وسلطة منقصة على العرب الجاهليّ لكونه يرى نفسه حرّا أبيّا! فجاء الإسلام وأحدث ثورة داخلية كبيرة بوصفها كانت "تجربة دينيّة شخصيّة لكل فرد، يعني حدوث أمر مهم يؤشر النقطة الجوهريّة التي تبدأ منها الطاعة والخضوع الحقيقيتين" أمام الله! (ايزوتسو، ٢٠٠٧: ٣١٠).

إن الباحثة بحسب استطاعتها وجهدها الجهيد في كتاب نهج البلاغة لم تحصل على هذا الضرب من دلالة كلمة السلم والاسلام – أي التسليم المطلق المتعمد أمام الله . في نهج البلاغة إلا في موضع واحد، وهو قول الإمام (ع) واصفا الإسلام بأنه هو تسليم مطلق لأمر الله تبارك وتعالى، تسليم لاينجم عن أي اعتراض، تسليم لكل ما كتبه الله تبارك وتعالى في لوح المحفوظ من خير وشر:

الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين (صالح، ١٤١٤: ٤٩١).

يبدو أن الإسلام الذي يقدمه الإمام (ع) بكل حدة نظر ودقة متفحصة إسلام لايشوبه أي اعتراض ولايتسلل فيه الضعف في الإرادة، فالمسلم الحقيقي إذن هو الذي يستسلم أمام ربه جل جلاله وقانونه وكتابه المنزل، وهو

على يقين أنّ كلّ ما جاء به الاسلام حقٌ والمرء إذا بلغ هذه الدرجة من الإسلام بلغ أعلى مراتب الإيمان، لأنه بلغ اليقين، ومن تيقّن بقدرة الله وبحكمته في كافة الأعمال لايدخله الضعف والاستكانة بشكل من الاشكال.

أما الضرب الثاني من الإسلام بدلالته الدينية في القرآن ونهج البلاغة هو الإسلام بمعنى أضيق، لكونه أقلّ من الإيمان مرتبة ومنزلة ويراد به التفوّه بقول لا إله إلا الله ومحمد رسول الله على ما اتضح للباحثة خلال النظر في الآيات الواردة بهذا المضمار، وشواهده كثيرة في القرآن وفي نهج البلاغة، في هذا الضرب من دلالة المادة يندرج ضمن الإسلام كلُّ مَن تفوه بالشهادتين وإن لم يكن مؤمنا بها قلبا مثل المنافقين الذي أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، هؤلاء مرضى القلوب كانوا يتّخذون من الاسلام جُنَّة ليستروا على فسقهم وشركهم وكفرهم، غير أنّ حكمهم الظاهر هو حكم المسلمين، لأنّ الناس لايعلمون بالسرائر والله يتولي السرائر! قال الله تبارك وتعالى في سورة الحجرات عن المنافقين: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات/ ١٤).

بعد النظر في الآية وسباقها ولحاقها يكشف لنا أن المنافقين كانوا يتفوهون بالشهادتين، والتفوه بالقول يكفي لأن ينضم المرء ضمن المسلمين بحسب الظاهر كما بيّنا وأن يتم معاملته مثل معاملة مسلم، وهو قد لم يؤمن أصلا! بين الله تبارك وتعالى حال أعراب منافقين نطقوا بالشهادتين وأظهروا الاسلام بهذا الفعل، ولكنهم لم يؤمنوا قلبا، بل هم مبطنو الكفر، فأمر الله جل جلاله رسوله أن يقول لهؤلاء ومن حاله مثل حالهم: ينبغي أن تقولوا — أيها المنافقون إننا أسلمنا — بحسب الظاهر — لا أن تقولوا إننا آمنا، لأنكم لم تبلغوا مرتبة الإيمان بعد ولم تتذوّقوا حلاوة الدين والإيمان، فلم يدخل الإيمان في قلوبكم، بل بلغ لفظ الشهادتين شفاهكم فحسب. يقول الماوردي أنهم مَنُّوا على رسول الله (ص) بإسلامهم فقالوا أسلمنا، لِمَ نقاتلك، فقال الله تعالى لنبيّه: قلْ لهم: لَمْ تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا خوفَ السيف لأنهم آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم، فلم يكونوا مؤمنين (الماوردي، د. تأ: ٥ /٣٣٧).

هذا وفي نهج البلاغة كذلك وظف الإمام علي (ع) في مواضع عديدة كلمة السلم ومشتقاتها بالدلالة المذكورة، بل لنا أن نقول إنّ معظم توظيفات مادة سلم في نهج البلاغة ورد بهذه الدلالة. والملاحظ أن للإمام في نهج البلاغة عبارة قريبة إلى مضمون الآية الشريفة (١٤ من سورة الحجرات) في وصف حال المنافقين، فيقول (ع) عنهم: رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام (صالح، ١٤١٤: ٣٢٥).

يعني مِن دَيْدَن المنافق أن يظهر الإسلام ويقول بالشهادتين لكي ينضم في سلك المسلمين، ولكنه يأبي أن يكون مسلما بقلبه، لأنه لم يكن مؤمنا ولا معتقدا بفحوى الإسلام ودينه أصلا! غير أن الإسلام وإظهار الشهادتين أصبح وسيلة بل ذريعة يتذرّع بها لكي ينال ما ينال منه المسلمون من امتيازات ومصالح. كثرت توظيف كلمة الإسلام بالدلالة المذكور في نهج البلاغة، من توظيفاتها كذلك قوله (ع): إن الله تعالى خصكم بالإسلام واستخلصكم له وذلك لأنه اسم سلامة وجماع كرامة (صالح، ١٤١٤: ٢١٢).

وقوله في وصف مكانة الحج: جعله (الحج) سبحانه وتعالى للإسلام علما (صالح، ١٤١٤: ٤٥).

وقوله: الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهل شرائعه لمن ورده (صالح، ١٤١٤: ١٥٣).

وقوله: فمن يبتغ غير الاسلام دينا تتحقق شقوته (صالح، ١٤١٤: ٢٣٠).

ففي كل الأمثلة عبَّرَ الإمام عن الإسلام بهذا الدين المحدد الذي أتى به رسول الله من عند الله تبارك وتعالى، وله شرعته وقوانينه ونواهيه وما إلى ذلك. وشاهد آخر على الاسلام بالمعنى المذكور قول الإمام (ع) في خطاب له إلى معاوية: وما أسلم مسلمكم إلا كرها (صالح، ١٤١٤: ٤٥٤).

فقد عدَّ الإمامُ هؤلاء مسلمين، لأنهم نطقوا بالشهادتين، وفي ذلك إشاره إلى أنّ النطق بالشهادتين

يكفي ليكون المرء مسلما حسب الظاهر، ولكنه يجب أن لايعزب عن بالنا أن النطق بالشهادتين لايكفي لينضم المرء في سلك المؤمنين، فما أكثرُ مَن نطق بالشهادتين ولم يدخل الإيمان في قلبه. يخاطب الإمام بني أمية أنكم أيها القوم لم تؤمنوا إلا بعد أن أجبرتم على ذلك واضطررتم عليه، حاربتم الرسول والمسلمين عندما كنتم صاحبو قدرة ومكنة، ولكنّكم بعد أن قلب الدهر عليكم ظهر المجن، ولم تستطيعوا من المحاربة والوقوف في وجه الاسلام والمسلمين، أسلمتم وأظهرتم الإيمان! وهذا الاسلام ليس إلا عن كرهٍ واجبار وإكراه. ومثل القول المذكور قوله (ع) أيضا في وصف حال أعدائه عند الحرب:

وما أسلموا ولكن استسلموا وأسروا الكفر (صالح، ١٤١٤: ٣٧٤).

يوضح الإمام في العبارة المذكورة المفهوم الحقيقي للإسلام فلا يُعَدُّ إسلام هؤلاء الذين استسملوا عن اضطرار وإكراه إسلاما حقيقا، بل هو نطق بالشهادتين فحسب، فهم وإن نطقوا بالشهاديتن أسروا وأضمروا الكفر والنفاق، أعاذنا الله منها.

الخاتمة والاستنتاجات

بعد الاستفاضة في كلمة الاسلام ومشتقاتها خلال المقالة في كل من الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ونهج البلاغة تبيّن لنا أنّ دلالة جذر سلم في العصر الجاهلي كان يعود إلى أصلين: الأصل الأول السلامة والمعافاة والأصل الثاني التسليم أو الاستسلام أمام الطرف الآخر الذي يكون في معظم الأحيان بشرا أو جنّيا أو ما شابه ذلك ولم يكن هناك تسليم لرب العالمين بشكل من الأشكال. أما دلالة المادة في القرآن الكريم ونهج البلاغة فقد طرأ عليها تغيّر دلاليّ، حيث بقي المعاني الجاهليّة للمادّة إلى جانب تلبّسها بمعانٍ جديدة لم يكن للعرب عهدٌ بها وقتذاك. منها أن الإسلام تحوّل من التسليم أمام المخلوق إلى التسليم أمام رب العالمين، تسليم مطلق لأمره وقانونه. إلى جانب المعاني المذكورة أضفي الدين الجديد على كلمة الإسلام معنى آخر وهو اسم اختاره الله رب العالمين لدينه المختار الذي ارتضاه لجميع عباده من آدم إلى الرسول الخاتم، فصار الاسلام اسم دين سماوي له قوانينه واموره وشريعته واموره ونواهيه، يندرج ضمنه بحسب الظاهر كل من نطق بالشهادتين، ولكن مجرد الشهادتين لايكفي لأن يكون المرء مسلما حقيقا أو مؤمنا في الواقع بل لابد أن يتسلل هذا المفهوم في القلب ليختاره المرء عن سويداء القلب بكل حب وإخلاص. هذه المعاني كلها لم يكن للعرب عهد بها في العصر الجاهلي، بل هي حديثة جاء بها القرآن الكريم بقدسيته ووسَّعَتْها سنة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وكذلك أقوال الإمام علي (ع) الغراءة، وفي ذلك خير دلالة على تغير اللغة وتطور مداليلها بمر الزمن.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن الشجري، هبة الله بن علي ابوالسعادات العلوي، مختارات شعراء العرب، تحقي: محمد علي البجاوي، بلا طبعة، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. تأ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين، لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤.

الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعلي: الدكتور محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميزت، المطبعة النموذجية، د. تأ.

أولمان، استيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمه و قدّم له وعلّق عليه: الدكتور كمال بشر، مكتبة الشباب، د. تأ.

ايزوتسو، توشيهيكو، الله والإنسان في القرآن (علم دلالة الرؤية القرآنية في العالم)، ترجمة وتقديم: هلال محمد الجهاد، الطبعة الأولى، الحمراء – بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، ٢٠٠٧م.

الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، بيروت – لبنان: دار صادر، د. تأ.

السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د. تأ.

صالح، صبحي، نهج البلاغة للإمام علي، جمعه محمد بن حسين الشريف الرضي، قم: منشورات هجرة للنشر والتوزيع، ١٤١٤ق.

صفوي، كورش، درآمدي بر معناشناسي، چاپ پنجم،

تهران: انتشارات سوره مهر(وابسته به حوزه هنری)، ۱۳۹۲.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، القاهرة: دار الكتب المصرية، ۱۹٦٤م.

قيس بن زهير، شعر قيس بن زهير، جمع وتحقيق: عادل جاسم البياتي، العرا: مطبعة الآداب في النجف الأشرف، ۱۹۷۲.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقي: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، د. تأ.

المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية (دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد)، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. تأ.

مختار عمر، أحمد، علم الدلالة، الطبعة الخامسة، القاهرة: عالم الكتب، ۱۹۹۸.

مفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام هارون، الطبعة السادسة، مصر: دار المعارف، د. تأ.

تغییرات معنایی واژه اسلام و مشتقات آن در نهج‌البلاغه در مقایسه با شعر جاهلی و قرآن

لیلی اصل رکن آبادی*

تاریخ دریافت: ۱۳۹۹/۰۲/۰۹ **تاریخ پذیرش: ۱۳۹۹/۱۲/۱۶**

استادیار رشته زبان و ادبیات عرب دانشگاه پیام نور، تهران، ایران

چکیده

کلمه اسلام و مشتقات آن از مهم‌ترین کلماتی است که در شعر جاهلیت، قرآن کریم و نهج البلاغه وارد شده است. به نحوی که هریک از سه منبع مذکور برای این کلمه و مشتقات آن معانی متفاوت یا مشترکی بیان کرده‌اند. محقق سعی کرده است از طریق سطرهای پیش روی شما ریشه کلمه سلم و مشتقات مختلف آن را با روش توصیفی - تحلیلی روشن کند و معنای کلمه سلم و مشتقات آن را در سه منبع مذکور روشن نموده و تغییر معنایی موجود در آن را ثبت نماید. نتایج مطالعه نشان می‌دهد که ریشه کلمه سلم در دوران قبل از اسلام از منظر مادی مورد اهمیت بوده است. این اهمیت در قرآن کریم و نهج‌البلاغه – علاوه بر اهمیت مادی- با دلالت‌های مذهبی مشخص شده است که محقق در طی تألیف مقاله آن را روشن کرده است. از جمله کلمه اسلام به معنای آن دین کاملی است که همه پیامبران از زمان خلقت آدم تا محمد مصطفی آورده‌اند. سپس به معنای تسلیم مطلق در برابر اراده خداوند تبارک و تعالی آن نوع تسلیمی که برای همه موجودات زنده و غیرزنده صدق می‌کند آورده شده است و این فراتر از آن چیزی نیست که خداوند تبارک و تعالی از زمانی که چیزی را خلق کرده برایش هدف‌گذاری کرده و فراتر از آن چیزی نیست که در سرانگشت هدف‌گذاری شده است و معناهای دیگری که محقق تا جایی که توانسته به بیان آن پرداخته است.

کلیدواژه‌ها: نهج البلاغه، شعر جاهلیت، قرآن کریم، امام علی (علیه السلام)، دگرگونی معنایی.

* **Email:** rokn56@yahoo.com